# حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثاني . شهر رمضان ١٤٣٣هـ / آب . ٢٠١٢م

٢

مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام سنة ١٩٣٥م

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

# صناجة العرب (الأعشى)
# بين نقاد الكوفة وشعرائها

الدكتور عبد الإله الصائغ

**تقديم:**

يحاول هذا الكم من الكتابة كشف الجدل بين قيمتين نادرتين، قيمة مدينة مبدعة، أسبغت فضلها على شاعر فائق، وقيمة شاعر منحاز أقرت صوره الفنية عدداً مهماً من شعراء الكوفة، فتاثروا بها وتمثّلوا، ولن تكون المحاولة ممكنة بسوى التوفّر على النصوص المعضدة المبثوثة في مظانها ومن ثم نتصرف بهذه النصوص ليكون ألكمّ كيفاً وفق منهج علمي دلالي يجعل القاعدة ظلاً للمثال ولا يرتكب العكس، ومثل هذا القول لا يمنع البحث من الإفادة المحسوبة بإيماءات المناهج الأخرى ومعطياتها كالتاريخي والاجتماعي..

والبحث بعد هذا ينجّم مسافاته على هذا النحو:

١- سيماء الكوفة.

٢- سيماء صناجة العرب (الأعشى الكبير ميمون بن قيس).

٣- فضل الكوفة على الأعشى.

٤- فضل الأعشى على شعراء الكوفة.

٥- خاتمة المسافة.

**١- سيماء الكوفة...**

يمتلك الحديث عن الكوفة أهمية بالغة بسبب من كون هذه المدينة واحدة من البؤر المنور التي كثفت حضارة الزمان العربي وأقامت عالياً مسلّة الإبداع ولا يذهبن بنا الراي ان شانها كان خاملاً قبل تمصيرها المبارك...

فلقد كانت الكوفة على حظ من الخير عميم، لقربها من المراكز المهمة نحو النجف والحيرة وبابل، وموضعها في أرض السّواد فضلاً عن أنها ناعمة بآلاء نهر الفرات[١].

ولقد تايد للباحثين أن مثلث الحيرة النجف الكوفة كان عامراً قبل الجاهلية حتى عدّ منطقة واحدة.. قال الأعشى (قدمت على النعمان فانشدته شعراً حتى أتيت على آخره فخرج إلى ظهر النجف فرايته قد اعتمّ بنباته من بين أحمر وأصفر وأخضر وإذا فيه من هذه الشقائق شيء لم أر مثله فقال ما أحسن هذه الشقائق أحموها! فحموها فسميت شقائق النعمان)[٢].. وقد قرن الشاعر المغني حنين الحيرى مسكنه (الحيرة) بالنجف!.

أنا حنين ومنزلي النجف
وما نديمي إلا الفتى القصف[٣].

وثمة (عريسات) التي استحالت إطلالاً بين الكوفة والحيرة شرقي النجف وهي مسلحة لجنة النعمان ملك الحيرة وديماس أيضاً[٤]. تقارب أطلال (طيزناباذ) الواقعة بين الكوفة والقادسية على جادة الحاج وهي محفوفة بالكرم والأشجار والخانات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة بالبطالة.. قال أبو النواس:

قالوا تنسّك بعد الحج؟ قلت لهم
أرجو الإله وأخش طيزنابادا[٥]

ويرى المؤرخون أنها «الأطلال» بقية مدينة شهيرة من أقدم مدن العرب في الجاهلية.. فبين هاتيك التلول والهضاب أبنية وقصور قد شيت في عصور مغرقة في القدم[٦] وثمة الغريان وهما بناءان بناهما المنذر بن امرئ القيس ابن ماء السماء بالكوفة يحاكيان بنائين كالصومعتين كانا بأرض مصر

(١) معجم البلدانز ياقوت الحموي ت٦٢٦ مطبعة دار صادر بيروت ١٩٧٧ مادة (كوفة).
تاريخ حضارة وادي الرافدين د. أحمد سوسة مطبعة دار الحرية للطباعة ٤٠٨/٢ مادة (كوفي).

(٢) الشعر والشعراء. ابن قتيبة ت٢٧٦ مطبوعات دار الثقافة بيروت ١٩٦٩ ١/ ٣٦٥.

(٣) الأغاني. أبو الفرج الأصبهاني ت٣٥٦ طبعة روائع التراث بيروت ١٩٧٠، ٢/ ٣٠١.

(٤) لغة العرب (مجلة شهرية أدبية علمية صاحبها الكرملي) أشراف زكي الجابر وآخرين مطبعة الجمهورية ١٩٧١ ج٢ ص١١٢، ٣٠٠، ٣٢١.

(٥) آثار البلاد وأخبار العباد للقزيني ت٦٨٢ مطبعة دار صادر٤١٧.

(٦) لغة العرب ٢/ ٣٢٢، ٣٧٦، ٤١٤، ٣٧.

بناهما بعض الفراعنة وأمر كل من يمرّ بهما أن يصلي لهما ومن لم يصل قتل[1] وثمة نهر الخير الذي فاء على الكوفة بركة.. النهر الذي سمي كرى سعده الممتد من هيت حتى البصرة.. ماراً بالكوفة وقد أسماه اليونانيون (pallocopas) وقد سافر الاسكندر من بابل عليه قبيل وفاته[2].

وغب تمصير الكوفة... وطيء شراها قادة عرب اقحاح أذاذ وتنسّم أريجها شعراء مبتكرون متميزون وصلى في محاريبها ذادة الدين الحنيف وتعلم وعلم في رحبة جامعها رادة علوم القرآن والحديث والشعر والنحو والأنواء وتعبير الرؤيا والأنساب وأيام العرب[3] وهي إلى هذا بلدة طيبة الهواء فرات الماء... استعانت بشطها على طينتها الحمراء فسمقت أشجارها وثقلت ثمارها وأشرقت وجوه أهليها فهي كما قال الحجاج (بكر عاطل لا حلى لها ولا زينة) لأن جمالها في فطرتها[4] لقد أجتوت العرب المدائن بعد ما نزلتها فآذاهم الغبار والذباب فأمر الخليفة عمر بن الخطاب(رض) سعداً أن يختار للناس منزلاً برياً بحرياً فلما نزل سعد الكوفة كتب إلى الخليفة العادل (إني قد نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات برياً بحرياً..) وموضع الكوفة كما المحنا رمل أحمر يقال له السهل (مفردته سهلة أي رملة) وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة ودير أم عمرو ودير هند وخصاص من خلال ذلك فاعجبت البقعة الرواد.. فنزلوا فصلوا وقالوا: اللهم رب السماء وما أظلت ورب الأرض وما أقلت والريح وما ذرت والنجوم وما هوت والبحار وما جرت والخصاص وما أجنت بارك لنا في هذه الكوفة وأجعلها منزل ثبات وبثوا الخبر إلى سعد وقرّ التمصير عام سبعة عشر للهجرة[5].

وقد نزل فيها العديد من الصحابة عليهم السلام مثل علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وسهل بن حنيف.

وسهل بن حنيف وأبي سعود الأنصاري وأبي موسى الأشعري وقد ذكر البراقي رحمه الله مئة وسبعة وأربعين صحابياً شهدتهم الكوفة[6].

(١) آثار البلاد ٢٢٦، ٤٢٦.

(٢) مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة ١٧٦٥ ترجمة سعاد العمري مطبعة دار المعرفة بغداد ١٩٥٥، ص٢٧ وبعدها وقد اسغى نيبور معلوماته عن هذا النهر من المؤرخ اليوناني المولود سنة ٩٠ ميلادي.

(٣) تاريخ الكوفة. حسين السيد أحمد البراقي ت١٣٢٢ الطبعة الثانية ١٩٦٨ المطبعة الحيدرية في النجف وانظر مدينة النجف الكبرى د.محسن المظفر مطبعة دار الحرية بغداد ١٩٨٢.

(٤) آثار البلاد ٢٥٠ وانظر لسان العرب لابن منظور (كوفي).

(٥) تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري، ت٣١٠ تحقيق محمد أبو الفضل دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٧٩، ٤/ ٤٠ وبعدها.

(٦) تاريخ الكوفة، ٣٧٧ - ٣٩٠.

ونبغ فيها الكثير من أعلام الفقه والقضاء مثل أبي امية شريح بن الحرث (ت٨٢) وأبي عبد الله سعيد بن جبر (ت٩٥) وأبي حنيفة النصران ابن ثابت (ت١٥٠) وكان الناس إذا سألوا بالكوفة ابن عباس(رض) يقول لهم اتسالونني وفيكم سعيد ابن جبير[7].

وتألق في منتدياتها وجامعها نحاة شامخون بحسبهم أنهم أسسوا مدرسة في النحو نافست مدرسة البصرة واختطت لمزيديها منهجاً عليماً مغايراً[8] ومن الولاء أبو الأسود الدؤلي (ت٦٧) ومعاذ بن مسلم الهراء (ت١٨٧) وأبو جعفر الرواسي (ت١٩٠) وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩) وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧) وأبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) (ت٢٩١) وقد ذكر البراقي رحمه الله خمسين نحوياً نهلوا العلم في الكوفة[9] وسوى ذلك توكيدات على قداسة الأرض المحدودة تبين النجف والكوفة[10] ولن نستبق تبويب البحث بايراد أسماء الشعراء الذين تألقوا بالكوفة وتألقت الكوفة بهم، فالبحث كفيل بذكر تلك الأسماء في معرض النجمة الرابعة (فضل الأعشى على شعراء الكوفة)[11].

## ٢- سيماء صناجة العرب...

الشعر العربي القبلاني غرة الإبداع العربي وديوانه ومعلقات العرب غرة ذل الشعر، ومعلقتا الأعشى غرة المعاناة... ومطلعاهما:

ما بكاء الكبير بالأطلال
وسؤالي وهل ترد سؤالي

ودّع هريرة إن الركب مرتحل
وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

فلئن اختارت العرب قصيدة طويلة واحدة لكل واحد من شعرائها المتميزين ويومذاك... فإنها اختارت لأبي بصير «الأعشى» طويلتين[12] فقد اتفق محبو هذا الشاعر وخصومه على فصل شعره في الأفئدة بفضل قدرته (الخارقة!) في جعل متلقّيه أسير ظن مؤداه أنه يُسمع في خلال إنشاد شعره ضربات صنج (آلة وتربة تشبه العود) وهذه الشهادة مبكرة لامتياز هذا الشاعر في العمارة الإيقاعية[13] كما اتفق دارسوه

(٧) آثار البلاد ٢٥٠.

(٨) الدرس النحوي في بغداد د. مهدي المخزومي مطبعة الحرية بغداد ١٩٧٥.

(٩) تأريخ الكوفة ٤١٦- ٤٢٢.

(١٠) مدينة النجف الكبر ث ٤٢.

(١١) تاريخ الكوفة وذكر البراقي تسعة وسبعين شاعراً كوفياً ص٤٣١ -٤٤١ وانظر حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة د.يوسف خليف مطبعة دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٨.

(١٢) معلقات العرب د.بدوي طبانة منشورات دار الثقافة بيروت ١٩٧٤.

(١٣) الشعر والشعراء ٢٦٣/٢.

على أنه مبتكر المعاني مجوّد في الصور الفنية[1]. حتى أن عالماً ألمانياً معروفاً هو البروفيسور رودولف جاير انفق من عمره العلمي أربعين عاماً في دراسة شعره وتقويمه[2] ولا غرابة في هذا الأمر، لأن الأعشى شاعر الشعراء، ويؤثر عن النبي(ﷺ) أنه قال (كاد يسلم وأما) حين بلغه موت الأعشى[3] ونقل عن النبي(ﷺ) قوله (الشعر كلام أمن العرب جزل تتكلم به في نواديها وتصلّ به الضغائن) واعجابه بقول الاعشى:

قلدتك الشعر يا سلامة ذا
النضال والشيء حيثما جعلا
والشعر يستنزل الكريم كما
استنزل رعد الحابسة السّبلا[4]

وكان الإمام علي بن أبي طالب(رض) مؤثراً للأعشى على كثير من شعراء عصره... وكان(رض) يردد في بعض خطبه أبياتاً من شعر الأعشى.. كقوله:

شتّان ما يومي على كورها
ويوم حيّان أخي جابر[5]

وحين خطب عبد الله بن الزبير وتمنى لو استطاع أن يستبدل كل شامي بعشرة رجال من قومه! نهض أحدهم مغضباً وقال له:

إنك تكلفنا القول، وما نجد لنا ولك مثلا إلا قول الأعشى:

علّقتها عرضاً وعلّقت رجلاً
غيري وعلّق أخرى غيرها الرجل

فقد علقناك وعلقت أهل الشام وعلق أهل الشام مروان فما عسانا أن نصنع[6]؟ ولقد عدّ الجغرافيون والمؤرخون شعر الأعشى شواهد بلدانية وتاريخية مهمة تحاكي أهمية الوثائق، فقد زار الشاعر أفريقيا واليونان وكثيراً من البلدان الأجنبية البعيدة حتى نعته الأجانب وقتذاك (مغني العرب)

أزال أذينة عن ملكه
وأخرج من حصنه ذا يزن
وخان النعيم أبا مالك
وأيّ امرئ لم يخذه الزمن
وقد طفت للمال آفاقه
عمان فحص فأوير سلم
أتيت النجاشي في أرضه
وأرض النبوط وأرض العجم[7]

واستثمر موثقوا الأساطير والخرافات شعر الأعشى لأنه أورد كثيراً من الطقوس في الأزمان القديمة (انظر المحبر لابن حبيب)، قال النويري (ت٧٣٣هـ): وزعموا (عرب ما قبل الإسلام) إن الجن تركب الثيران فتصدّ البقر عن الشرب وتمثلوا بقول الأعشى:

لكالثور والجني يركب ظهره
وما ذنبه إن عافت الماء مشربا
وما ذنبه إن عافت الماء باقر
وما إن تعاف الماء إلا ليضربا[8]

واستثمر الجواليقي طائفة من المفردات الغريبة التي وردت في شعر الأعشى بسبب من أسفاره وانتجاعه بشعره في البلاد البعيدة، وكان أبو حاتم يرى الأعشى من أفصح العرب[9] وقبل هذا وبعده ثمة موقفه العربي الملتزم من القضايا المصيرية:

لو أن كل معدّ كان شاركنا
في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
قتلنا القيل (هامرزا)
ورؤينا الكثيب دما

إن الحديث عن أهمية الأعشى الكبير شاعراً وإنساناً وعالماً ذو أهمية أكيدة فقد شغل الناس ويشغلهم، لقد فضله نابغة ذبيان (حاكم الشعر وناقده في سوق عكاظ) على شعراء كبار من نحو حسان بن ثابت والخنساء وسواهما[10] وفضله

(١) الصورة الفنية معياراً نقدياً د.عبد الإله الصائغ مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٧ انظر.

(٢) ديوان الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) تحقيق د.محمد محمد حسين مطبعة دار النهضة بيروت ١٩٧٤ انظر المقدمة.

(٣) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. أبو زيد القرشي (القرن الرابع) مطبعة لجنة البيان العربي بمصر ١/ ٨٤ ووجدت في سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد ت٢٧٥ مطبوعات أحياء الكتب العربية ١٩٥٢ ج٢ ص١٢٣٦ قولاً للنبي(ﷺ) منصرفاً إلى سوى الاعشى.

(٤) العمدة في محاسن الشعر. ابن رشي القيرواني ت٤٥٦ تحقيق محي الدين عبد الحميد مطبوعات دار الجهل بيروت ١٩٧٢ ج١ ٢٨ وانظر الجمهرة ١/ ٢٩ وأما البيتان فهما في ديوان الأعشى ٣٥/ ١٨، ١٩.

(٥) نهج البلاغة. مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) شرح يحمد عبدة منشورات مكتبة النهضة بغداد ١٩٨٤ ص٣٢. ديوان الاعشى ١٨/ ٥٧.

(٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ابن خلكان ت٦٨١ تحقيق إحسان عباس طبعة دار صادر بيروت ١٩٧٧ ج٣ ص٧٤ ويؤيد الأعشى ٣/ ٧٤.

(٧) صفة جزيرة العرب. لسان اليمن الهمداني ت٣٤٤ مطبوعات دار اليمامة السعودية ١٩٧٤. ديوان الاعشى ٢/ ٨، ٩ ثم ٤/ ٥٦، ٥٧.

(٨) نهاية الارب في فنون الآدب، شهاب الدين النويري ت٧٣٣ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ٣/ ١٢٣. ديوان الاعشى ١٤/ ٢٦، ٢٧.

(٩) المعرب. ابن الجواليقي ت٥٤٠ أحمد محمد شاكر طبعة دار الكتب ٥٧، ٤٥٣.

(١٠) أنوار الربيع في أنواع البديع. ابن معصوم المدني ت١١٢٠ مطبعة النعمان النجف ١٩٦٨ ج٤ ص٢٠٨.

أبو عمرو بن العلاء على لبيد باعتداده (شاعراً مجيداً كثير الأعاريض والافتنان)[1] ولقد نال هذا الشاعر شهادات مهمة من أعلام معروفين. نذكر منهم على سبيل المثال: محمد بن سيرين (ت١١٠) وعمرو بن عبيد (ت١١٤) وحماد الراوية (ت١٥٥) وبشار بن برد (ت١٦٧) والمفضل الضبي (ت١٦٨) وخلف الأحمر (ت١٨٠) ويونس بن حبيب (ت١٨٢) والنضر بن شميل (ت٢٠٣) والشافعي (ت٢٠٤) وأبو عبيدة (ت٢٠٩) والأصمعي ٢١٦ والجمحي ٢٣١ ومحمد بن حبيب ٢٤٥ والجاحظ ٢٥٥ والقاضي الجرجاني ٣٦٦ وابن قتيبة الدينوري ٢٧٦ والمبرّد ٢٨٢ وابن طباطبا العلوي ٣٢٢ وابن عبد ربه ٣٢٨ وأبو الفرج الأصبهاني ٣٥٦ والآمدي ٣٧٠ وأبوالعلاء المعرّي ٤٤٩ والقائمة تطول[2].

## ٣- فضل الكوفة على الأعشى....

أ- عمل أبو سعيد السكرى ت٢٧٥ شعر الأعشى وقال أبو علي البغدادي أن شعر الأعشى في أربعة أجزاء قراته علي ابن دريد[3] وكاد هذا الشعر أن يتبدد ويضيع ما إلا أن وجود نسخ من المخطوطات في ليدن والقاهرة حفزرود ولف جاير على نشر شعر الأعشى برواية ثعلب[4]... وقد تايد ذلك لشوقي ضيف!! إذن لقد وصل إلينا شعر الأعشى بواسطة عالم كوفي ثبت... وضاعت النسخ الأخرى بالروايات البصرية[5].

ب- حكى يونس ت١٨٢ أن الكوفيين يفضلون الأعشى لأن قبيلة بكر مبثوثة في مدنيتهم ولأن الأعشى قياساً بالشعراء الذين عاصروه (أكثرهم عروضاً وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة مدحاً وهجاء وفخراً وصنعة)[6] ولقد توصل الباحث إلى أن العرب تعني بالصنعة دلالة الصورة الفنية[7].....

جـ- الشعبي: أبو عمرو عامر شراحيل ت١٠٣ ناقد كوفي.. بلغ إعجابه بشعر الأعشى مبلغاً كبيراً، فهذا الناقد يرى أن الأعشى متميز من سواه لأنه شاعر أغزل بيت قالته العرب وأشجع بيت وأخدث بيت[8]!!.. وكان الشعبي يؤسس رأيه على استقراء للشعر القبلاني وعلى ثقافة فيه عريضة فهو يقول (ما أنا لشيء من العلم أقل مني رواية للشعر ولو شئت أنشدت شهراً لا أعيد بيتاً لفعلت)[9]..

د- وتاسيساً على الفقرة (جـ) فإن الشاعر غياث بن غوث (الأخطل) ت٩٠ الذي نشأ في الحيرة وعد أحد ثالثة رموز كانوا أشهر أهل زمانهم[10]... كان هذا الشاعر ولوعاً بالاعشى... يراه مثاله الذي ينبغي أن يصل إلى مجده، وتذكر الأخبار أن الأخطل دخل على عبد الملك بن مروان وهو جالس على السرير في واحدة من قباب قصر طمار في الكوفة[11].... وقد شرب وتضمخ بلخالخ وخلوف وعنده عامر بن شراحيل (الشعبي) فملا رآه أعلن بشيء من الزهو أنه بز الشعراء جميعاً بقوله:

وتظل تنصفنا بها قرويّة
أبريقها برقاعها ملثوم
وإذا تعاورت الاكف زجاجها
نفحت فنال رياحها الزكوم

فقال له الشعبي أشعر منك الذي يقول:

وأدكن عاتق حجل سبحل
صبحت براحه شرباً كراما[12]
من الائي حملن على الروايا
كريح المسك تستل الزكاما

فقال الأخطل ويحك من يقول هذا؟ فقال الشعبي غنما هو الأعشى فقال الأخطل (قدوس قدوس) واعترف بانّ الأعشى بزّ الشعراء جميعاً وأقسم على ذلك بالصليب[13]....

---

(١) العقد الفريد. ابن عبد ربه ت٣٢٨ طبعة دار الفكر ٧/ ٢٣.

(٢) الصورة الفنية سيارا نقديا ص٣٩٥.

(٣) الفهرست. ابن النديم ت٣٨٠ طبعة دار المعرفة بيروت ١٩٧٨ ص٢٢٤ فهرست ما رواه عن شيوخه، ابن خير الأشبيلي ت٥٧٥ مطبعة تونس. منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ ص٣٩٥.

(٤) الصبح المنير في شعر أبي بصير مع شرح ثعلب تحقيق وجمع روه جابر مطبعة أدولف هوسن بيانة ١٩٢٧ (انظر مقدمة الطبعة الأوربية (ديوان الأعشى) ص ١-٢٣٢).

(٥) العصر الجاهلي. شوقي ضيف مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٦ ص٣٤٠.

(٦) المزهر. السيوطي ت٩١١ تحقيق محمد جلد المولى مطبعة البابي ٢/ ٤٨٢.

(٧) الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي د. عبد الإله الصائغ، كتاب آفاق عربية رقم ٧ عام ١٩٨٥. وانظر: الصورة الفنية في المثل القرآني د. محمد حسين الصغير. شركة المطابع النموذجية ١٩٨١. وانظر ايضاً: الصورة الأدبية في الشعر الأموي، محمد حسين الصغير رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جماعة بغداد ١٩٧٥.

(٨) الأغاني ٨/ ٧٩ - ٨٤ - ٨٥.

(٩) العقد الفريد ٦/ ١٠٩.

(١٠) الأعلام. خيرالدين الزركلي طبعة دار العلم بيروت ١٩٧٩ ج٥ ص١٢٣.

(١١) آثار البلاد ٢٥١.

(١٢) الجمهرة ١/ ١٠٤. الموشح. المرزباني ت٣٨٤ تحقيق البيجاوي مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٥ ص٢٢٢. شعر الأخطل صنعة السكري تحقيق د. فخر السين قباوة منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٩ ج١٤/٦، ١٥، ١٧ ديوان الأعشى ٢٩، ١٦، ١٧.

(١٣) الأغاني ٨/ ٨٤، ٨٥. الموشح ٢٢٣.

هـ- مكث عبد الملك بن مروان في الكوفة زمناً... وكان ولوعاً بشعر الاعشى... وقد أوصى مؤدب أولاده (أدبهم برواية شعر الأعشى فإن له عذوبة تدلهم على محاسن الكلام... قاتله الله ما أعذب بحره وأصلب صخره)[1].... والتفت إلى من حوله من النقاد والشعراء ،إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بني قيس ابن ثعلبة)[2]... ثم قال لقومه (علاثة فما أود أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وإن الأعشى قال:

تبيتون في المشق ملاء بطونكم

وجاراتكم غرثى بيتهن خمائصا

فما أن سمع علقمة بن علاثة هذا البيت حتى بكى وقال: انفعل نحن هذا بجاراتنا، ودعا عليه، فما ظنكم بشيء يبكي علقمة وكان عندهم إذا ضرب بالسيف ما قال حسي)[3] وفي هذا إشارة إلى المنافرة الجاهلية التي نشبت بهن علقمة وعامر بن الطفيل)[4].

و- حماد الراوية ت١٥٥ أول من لقب الراوية وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارهم وأخبارهم وأنسابهم ولغاتهم، قال له الوليد بن يزيد بم استحققت لقب الراوية قال لأني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به. ثم لا ينشدني أحد شعرا قديماً أو محدثاً إلا ميزت قديمه من محدثه، قال الوليد فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبرية سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون الإسلام، وكانت لهذا الراوية الناقد آراء متداولة في كتب النقد يفضل الأعشى من خلالها، وهو يجيب السائل أعن أشعر العرب... فيقول دون تردد أشعر العرب الذي يقول:

نازعتهم قضب الريحان متكئاً

وقهوة مزة راووتها خضل[5]

ز- المفضل الضبي الكوفي ت١٦٨ عالم ناقد راوية ثقة وكفاه أنه وضع مختارات للعصر التسلامي سميت المفضليات بحيث حاكاه الأصمعي فوضع على منهجها مختارات أخرى سميت الأصمعيات.. وكان لا يرى مقاماً في الشعر أعلى من مقام الأعشى فهو القائل في واحدة من حلقات الدروس التي يحضرها العلماء (من زعم أن أحداً أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر)[6] على أن قافية الاعشى في المحلق غرة الشعر العربي).

أرقت وما هذا السهاد المؤرق

وما بي من سقم وما بي معشق[7]

أما شعره ففيه (مجازات مخترعة) لا يمكن لسوى العربي الصليب المذوق للإبتداع سبراغوارها[8]....

حـ- أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني النحوي اللغوي ت٢٠٦ من رماد الكوفة أخذ عنه جماعة كبار من الأعلام منهم الإمام أحمد بن حنبل والناقد أبو عبيد قاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت وكان يكتب بيده على أن مات عن مئة وثماني عشرة سنة.

وكان قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل الضبّي فغلبت عليه النواد وحفظ الحديث وأراجيز العرب.... والشيباني يحفظ شعر الأعشى ويدعو إلى تمثله ووجد أنه (شعر الأعشى) بحر لا تدانيه السواقي[9].

ط- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦ عالم ناقد سكن الكوفة وتتلمذ على شيوخها وصنع الشعر والشعراء[10] وقد وجد في (أبي بصير) كثيراً من سمات الشاعر المجيد، فالأعشى يرسل الشعر والنقاد يلتقطون مفرداته في شعر الأخرين وميزّ في الاعشى دقة التصوير المتناهية في هذا النحو:

تريك القذى من دونها وهي دونه

إذا ذاقها من ذاقها يتمطق

ثم قال (إنها من صفائها تريك القذاة عالية عليها والقذاة في أسفلها) وهو إلى هذا دقيق في تصوير فعل الخمرة في الجسد في هذا النحو:

فراح مكيئاً كأن الدبا

يدبّ على كل عظم دبيبا

(١) الجمهرة ١/ ٨٤

(٢) العقد المفريد ٦/ ١٠٧.

(٣) أنوار الربيع ٢/ ١٦٣، ديوان الاعشى ١٩/ ١١.

(٤) جمهرة خطب العرب. د. أحمد زكي صفوت. مطبعة دار التراث بيروت ١٩٧٠، ص ٢٠٣.

(٥) الأغاني ٨/ ٧٩، ديوان الاعشى ٦/ ٣٩.

(٦) خزانة الأدب ولب الألباب لسان العرب. عبد القاهر البغدادي ع.ت ١٠٩٣ تحقيق عبد السلام محمد هارون. مطبعة دار الكتاب الصبهي بالقاهر ١٩٦٧ ج١ ص١٧٦.

(٧) الأغاني ٨/٨٠ ديوان الأعشى ٣٣/ ١.

(٨) الأغاني ٨/٨٠

(٩) وفيات الأعيان ١/ ٢٠١، تاريخ بغداد ٦/ ٣٢٤. معجم الأدباء الحموي بعناية ماركليوت مطبعة دار أحياء التراث العربي بيروت ٦/ ٧٧.

(١٠) الأعلام ٤/ ١٣٧.

ولم يقصر الدينوري قدرة الأعشى في شعر الخمرة وإنما رآه أحسن الشعراء وصفا للرياض[1] وأوفاهم أخباراً عن الماضين[2].

ى- مرّ بنا أن ثعلب ت٢٩١ صنع شعر الأعشى ولولا صناعته لاختفى هذا الكنز من الوجود، وكان ثعلب يرى أن الاعشى أجود مدحاً من حسان بن ثابت، ولذلك لم يرق له قول الحُطيئة في علته التي قضى فيها نحبه (ابلغوا الأنصار إن أخاهم أمدح الشعراء في بيت) وقد ردّ ثعلب هذا القول لأنه أسس أن الأعشى أجود منه في بيت[3]...

ك- يرى بعض نقاد الأدب أن أهل الكوفة الولوعين بشعر الأعشى أعلم بالشعر من أهل البصرة وسواهم فقد نقل حماد الراوية أن النعمان ملك المناذرة كان محباً للشعر والشعراء وخشي أن يضيع في صدور الناس فامر الكتّاب (فنسخت له أشعار العرب في الطنوج أي الكراريس فكتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض... فلما كان المختار بن أبي عبيدة قيل له أن تحت القصر كنزاً، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار.. فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة)[4].

ل- لقد كشف الكوفيون الغطاء عن شعر الأعشى وروجوا له وأنقذوه من التلف والتبدد كما المحنا.. ثم علموا الناس أهم مزايا شعره وحين نسب إلى النبي الأمين(ﷺ) أنه جعل امرأ القيس اشعر الشعراء وقائدهم إلى النار تأول الكوفيون في معرض الموازنة بين امرئ القيس الذي شغف به البصريون والأعشى صاحب أهل الكوفة قائلين أن النبي(ﷺ) جعل امرأ القيس مجرد قائد (حامل للواء الشعر) أما أمير هذا القائد فهو الأعشى[5] ونهد من أهل البصرة يونس بن حبيب ت١٨٢ ليجيب عن سؤال كوفي عن أشعر العرب فقال (امرؤ القيس إذا ركب والنابغة إذا رهب وزهير إذا رغب والاعشى إذا طرب) إلا أنه قال أن البصرة تفضل امرأ القيس على الأعشى بينما تصنع الكوفة العكس[6] ويونس بهذا الصنيع جعل الأعشى أشعر الشعراء دون أن يصرّح بذلك... فالشعر أقرب في روحه إلى الطرب منه إلى الرغبة والرهبة أو سواهما.

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٨٤ -١٨٦، ديوان الاعشى ٣٣/ ٢٣ والبيت الثاني لم يحوه الديوان.

(٢) المعارف ٦٣٢، ٦٥٠.

(٣) العمدة ١/ ٤٤، ديوان حسان بن ثابت تحقيق سيد حنفي مطبعة الهيئة المصرية، ١٩٧٣ ص١٢٣ ق٢٧/ ١١. ديوان الأعشى ٧/ ١١ المزهر٢/ ٤٧٨، ٤٨٢.

(٤) اللسان (طنج) المزهر ٢/ ٤٧٨، ٤٨٢.

(٥) المزهر ٢/ ٤٧٨، ٤٨٢.

(٦) حزانة الأدب ١/ ١٧٥. الأغاني ٨/ ٧٧. طبقات الفراء ١٦ العمدة١/ ٩٨.

## ٤- فضل الأعشى على شعراء الكوفة.

لا يسوّغ البحث بمفرده (فضل..) تأسيس معنى بعدي عن دلالة الإعجاب والمحاكاة... وربما جاءت المحاكاة عفوية غير مقصودة بسبب من أن للإعجاب ضغوطاً لا يمكن تجنبها أو احتمالها بيسر، والشعر جادة كما يقول المتنبي وقد يقع فيها الحافر على الحافر! ووفق منهج البحث الصوفي فإن النجمة الرابعة تتكفل بملاحظة صور الأعشى على أنها (مشبه) وصور الشعراء الآخرين (مشبه به) لنتبين وجه الشبه بعيدين (تماماً) عن توهم سرقة الخلف للسلف! فمثل هذا الظن يفسد حوار الأجيال... ولنا أن نقدم بين يدي هذه النجمة رأيا مهماً آخر مؤداه أن المقارنة بين الصورة والصورة لا تعني بالضرورة أن تكون الصورتان وجهين لمنظور واحد.. أو أن تكونا من بحر واحد وقافية واحدة ولا تعني المقارنة أيضاً اقتناص المعنى المباشر الأول... فقد لا يجد النظر العجلان وجه شبه بين الصورتين مباشراً.. وذلك لا يمنع وجود وجه شبه أكيد أشره المنهج الصوفي، ولهذا فإن اعتمادنا على الدلالة يكون مصوغاً باعتدادها (الدلالة) علماً يلاحظ الباطن من خلل الظاهر والنتيجة من تعددية السبب والقرينة من بلاغة التلميح[7] بمكاربة حميمة لحدود الصورة التي رآها البحث (نسخة جمالية تستحضر فيها لغة الإبداع الهيئتين الحسية والشعورية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته وفق معادلة طرفاها المجاز والحقيقة دون أن يستبد طرف بآخر)[8].

أما ترتيب الشعراء... أو انتقاؤهم... فلم نشأ اخضاعه لمناهج الزمن أو الكم أو الأهمية... وإنما جعلنا اختيارنا منصرفاً إلى ترتيب الشعراء وفق توفر القرائن الصوفية فاقتضت الإشارة:

**أ- أبو الطيب المتنبي:**

المتنبي شارع عظيم، بل هو بحر زاخر... فقد ملأ الدنيا وشغل الناس وهذا القول لا يمنع الباحث عن ملاحظة وجود قرائن بين صور الأعشى وصور المتنبي، وها نحن نرمز للمتنبي (م) والأعشى (ع).

* (م): فلا ترزق الأقدار من أنت حارم

ولا تحرم الأقدار من أنت رازق

(٧) علم الدلالة منهجاً تطبيقياً د. عبد الإله الصائغ. جريدة الثورة ٨/ ٢٨/ ١/ ١٩٨٨.

(٨) الصورة الفنية معياراً نقدياً ١٥٩. الصورة الفنية في المثل القرآني ٥٩.

ولا تفتق الأيام ما أنت راتق
ولا ترتق الأيام ما أنت فاتق

(ع): غيث الأرامل والأيتام كلهم
لم تطلع الشمس إلا ضرّ أو نفعا
لا يرقع الناس ما أوهي وإن جهدوا
طول الحياة ولا يوهون ما رقعا[1]

* (م): شاعر المجد خدنه شاعر اللف
ظ كلانا ربّ المعاني الدقاقِ

(ع): قلدتك الشعر يا سالمة ذا الـ
ـتفال والشيء حيثما جعلا[2]

* (م): لو كنت حشو قميص فوق نمرقها
سمعت للجن في غيطانها زجل

(ع): وبلدة مثل ظهر الترس موحشة
للجن بالليل في حافاتها زجل[3]

* (م) إذا فزعت قدمتها الجياد
وبيض السيوف وسمر القنا

(ع): إذا ما سمعن الزجر يممنَ مقدما
عليها أسود الزارتين الضراغم[4]

* (م): واتعب خلق الله من كان همه
وقصّر عما تشتهي النفس وجده

(ع): لعمرك ما شف الفتى غير همه
إذا حاجة بين الحيازيم حلت[5]

* (م): على قلق كان الريح تحتي
أحركها يميناً أو شمالا

(ع): كأني ورحلي والفتان ونمرقي
على ظهر طاوا سفر الخد أخثما[6]

* تقول العرب شلشل الأعشى فقلقلَ المتنبي وقد عدّ الآمدى الشلشلة والقلقلة من (جنون الشعراء)[7]....

(١) ديوان المتنبي: شرح الواحدة ت٤٦٨ مطبعة برلين ١٨٦١م. ج٣ ص٨٩ ديوان الأعشى ١٣/ ٤٦، ٧٢.

(٢) ديوان المتنبي ج٣ ص١١٠. ديوان الأعشى ١٥/ ٣.

(٣) ديوان المتنبي ج٣ ٢٨٩. ديوان الأعشى ٣١/٦.

(٤) ديوان المتنبي ج٣ ص٣٠٠. مقصورة المتنبي. عبد الإله الصائغ مجلة الطلوحة تموز ١٩٧٧. ديوان الأعشى ٩/ ١٥.

(٥) ديوان المتنبي ج٣ ص٦٤٢ ب٩. ديوان الأعشى ١٨/٤٠.

(٦) ديوان المتنبي ج٣ ص٦٤٣. ديوان الأعشى ٥٥/ ١٦.

(٧) أنوار الربيع ١/ ٢٦٦. الصناعتين ٣٤٤. الموازنة ٢٥٢.

**ب- أعشى همدان:**

عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ويكنى أبا المصبح شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية[8]:

* (هـ) وكان ريقتها على علل الكرى
عسل مصفى في القلال وقرقف
وكأنما نظرت بعيني ظبية
تحنو على خشف لها وتعطف

(ع) كأن جنياً من الزنجبيـ
ـل خالط فاها وأريا مشورا
صادت فؤادي بعيني مغزل خدلت
ترعى أغن غضيضاً طرفه خرقا[9]

* (هـ) وإذ أنا في عنفوان الشباب
يعجبني اللهو والسمر
أصيد الحسان ويصطدنني
وتعجبني الكاعب المعصر

(ع) إذ هي تصطاد الرجال ولا يصطادها إذا رماها الابسلُ
وقد صادت فؤادك إذ رمته
فلو أن امرءً دنفا يصيد
ولكن لا يصيد إذا رماها
ولا تصطاد غانية كنود[10]

* (هـ) إذا انصرفت وتلوت بها
رقاق المجاسد والمئزر
وتنبي إلى حسب شامخ
فليست تكذب إذ تفخر

(ع) كان ظباء وجرة مشرفات
عليهن المجاسد والبرود
لها ملك كان يخشى القراف
إذا خالط الظن منه الضميرا[11]

* (هـ) ومايد ريك ما شيخ كبير
عداه الدهر عن سنن المراح
فأقسم لو ركبت الورد يوماً
وليلته إلى وضح الصباح

(٨) الأغاني ٦/ ٣٤ وفي ص٥٥ (عدّه الاصمعي من الفحول).

(٩) نفسه ٦/ ٣٦ ديوان الاعشى ١٢/ ٨، ٨٠/ ٥.

(١٠) الأغاني ٦/ ٤٠ ديوان الاعشى ٥٢/ ١٥، ٦٥/ ٢، ٣.

(١١) الأغاني ٦/ ٤٠ ديوان الأعشى ٦٥/ ١٧، ١٢/ ١١.

إذن لنظرت منك إلى مكان
كسحق البرد أو أثر الجراح
(ع) ودعي الذكر عن عشائي فما يدريك ما قوتي وما تصريفي
تقمرها شيخ عشاء فاصبحت
قضاعية تأتي الكواهن ناشصا
فأقصدها سهمي وقد كان قبلها
لأمثالها من نسوة الحي قارصا
إذا ما علاها فارس متبذّلٌ
فنعم فراش الفارس المتبذلِ[1]
* (هـ) وكم لقينا لك من واتر
يصرف نابي حنق مارد
(ع) وقوم تصرف الأنياب منهم
علينا ثم لم يصد الوعيد[2]
* (هـ) الطلاق بالثلاث
فلما بدا لي منها البذاء
صبحتها بثلاث عجال
ثلاثاً خرجن جميعاً بها
فخلينها ذات بيت ومال
إلى أهلها غير مخلوعة
وما مسّها عندنا من نكال
(ع) يا جارتا بيني فإنك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقة
وبيني فإنّ البين خير من العصا
والانزال فوق رأسك بارقة
وبيني حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة فينا كذاك ووامقة[3]
* (هـ) حيّيا جزلة مني بالسلام
درة البحر ومصباح الظلام
عجبت جزلة مني أن رأت
لمتي خفت بشيب كالثغام
ورأت جسمي علاه كبره
وصروف الدهر قد أبلت عظامي
(ع) كانها درة زهراء أخرجها
غواص دارين يخشى دونها الغرقا

(١) الأغاني ٦/ ٤٢ ديوان الأعشى ٦٣/ ١١، ١٩/ ٣-٤، ٧٧/ ٧.
(٢) الأغاني ٦/ ٤٧ ديوان الأعشى ٦٥/ ٤١.
(٣) الأغاني ٦/ ٥٢ ديوان الأعشى ٤١/ ١-٤.

رأت رجلا غائب الوافدين
مختلف الخلق أعشى ضريرا
فإن الحوادث ضعضعنني
وإن الذي تعلمين استعيرا[4]

### جـ- الأخطل

مرّ بنا أن غياث بن غوث نشأ في أطراف الحيرة وكانت إقامته طوراً في دمشق وآخر في الكوفة حيث يقيم بنو تغلب وجاء في الأغاني ١٢/ ١٥٥ أن الأخطل كان كثير التردد على الكوفة.

* (خ) صريع مدام يرفع الشيب رأسه
ليحيا وقد ماتت عظام المفاصل
(ع) تكاد تنضى ولما تذق
وتغش المفاصل افتارها[5]
* (خ) ترى لامعات الأل فيها كانها
رجال تعرّى تارة وتسربل
(ع) وبيداء تحسب آرامها
رجال أياد باجلادها[6]
* (خ) حلي يشيب بياض النحر واقده
كما تصور في الغير التماثيل
(ع) كدمية صور محرابها
بمذهب في مركز مائد[7]
* (خ) فسلّها بامون الليل ناجية
فيها هباب إذا كلّ المراسيل
تسمو كأن شراراً بين أذرعها
من ناسف المرو مرضوخ ومنحول
(ع) عرمس ترجم الآكام باخفها
ف صلابٍ منها الحصى أفلاق
بكميت عرفاء مجمرة الخـ
ـف غذتها عوانة وفتاق
وتولي الأرض خفا مجمرا
فإذا ما صادف المروَ رضح
كلفت عانسة أمونا في نشاط هبابها[8].
* (خ) وكانت حين تعتل النفالى
تعاطي بارداً عذب المذاق

(٤) الأغاني ٦/ ٥٣. ديوان الأعشى ٨/ ٩، ١٢/ ٢٥ - ٢٦.
(٥) شعر الأخطل ١/ ٥، ٦٤/ ١٥.
(٦) شعر الأخطل ٢٦/١ ديوان الأعشى ٨/ ٢٥.
(٧) شعر الأخطل ٣/ ٧، ديوان الأعشى ١٨/ ٥.
(٨) شعر الأخطل ٣/ ١١- ١٣ ديوان الأعشى ٣٢/ ٢١-٢٣، ٣٦/ ٣١، ٣٩/ ٤١.

(ع) وتفتر عن مشرق بارد
كشوك السيال أسفّ التؤورا
وبارد رتل عذب مذاقته
كأنّما علّ بالكافور واغتبقا[1]
* (هـ) فقد يكون الصبا مني بمنزلة
يوما وتقتادني الهيف الرعاديد
اعرضن من شمط في الرأس لاح به
فهن مني إذا أبصرنني حيد
(ع) وأرى الغواني حين شبت هجرنني
إن لا أكون لهن مثلي امردا
وأنكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث إلا الشيب والصلعا[2]

**د- عبيد الله بن الحر الجعفي**

* (ج) إذا فرغت أسيافنا من كتيبة
نبذنا بأخرى في الصباح ركود
(ع) وجند كسرى غداة الحنو صبحهم
منا كتائب تزجي الموت فانصرفوا[3]
* (ج) أقول لهم تموا فدى والدى لكم
وما لي جميعاً طار في وتليدي
(ع) فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي
وراكبها يوم اللقاء وقلت[4]
* (ج) قتلتهم حتى شفيت بقتلهم
حرارة نفس لا تذل على القسر
(ع) شفى النفس قتلى لم توسّد خدودها
وسادا ولم تعضض عليها الأنامل[5]
* (ج) وفي الدهر والأيام للمرء عبرة
وفيما مضى أن ناب يوم نوائبه
وما لامرئ إلا الذي الله سائق
إليه وما قد خُطّ في الزبر كاتبه
(ع) أو لم ترى في الزبربينة بحسن كتابها
إن القرى يوماً ستهلك قبل حق عذابها
يا من رأى ريمان أمسى خاويا خربا كعابه
أمسى الثعالب أهله بعد الذين همُ مآبه[6]
* (ج) حلبت خلوف الدهر كهالا ويافعا
وجربت حتى احكمتني التجارب
(ع) ولكن أرى الدهر الذي هو خاتر
إذا أصلحت كفاى عاد فافسدا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع
وليداً وكهلاً حين شبت وامردا[7]

**هـ- أبو العاهية:**

* (عت) سكن يبقى له سكن
ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا
ببلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح
لامرئ فيها ولا حزن
(ع) لعمرك ما دلول هذا الزمن
على المرء الاعناء معن
فتراه مهدوم الأعالي
وهو مسحُول ترابُه
ولقد أراه بغبطة
في العيش مخضراً جنابه
فخوى وما من ذى شباب
دائم أبداً شُبابه[8]
* (هت) كانها من حسنها درة
أخرجها اليم إلى الساحل
(ع) كأنها درة زهراء أخرجها
غواص دارين يخشى دونها الغرقا[9]
* (عت) ومهمه قد قطعت طامسه
قفر على الهول والمحاماة
بحرة جمرة عذانرة
خوصاء عيرانة علنداة
... يا ناق جنني ولا تعدى
نفسك مما ترين راحلت
حتى تناخي بنا إلى ملك
توجه الله بالمهابات

(١) شعر الأخطل ٥/٩ -٧ ديوان الأعشى ١٢/ ٧، ٨٠/ ٦.
(٢) شعر الأخطل ٩/ ٥ - ديوان الأعشى ٣٤/ ٣، ١٣/ ٢.
(٣) شعراء أمويون د. نوري حمودي القيسي (جمع وتحقيق) ١/ ٦٩ ديوان الأعشى ٦٢/ ١٧.
(٤) شعراء أمويون ٦٩/١ ديوان الأعشى ١/٤٠.
(٥) شعراء أمويون ١/ ٧٩ ديوان الأعشى١٣/٢٦.
(٦) شعراء أمويون ٩٣/١-٩٥ ديوان الأعشى٥/٣٩-٦-٨، ٢٦/٥٤ -٢٧.
(٧) شعراء أمويون ٩٦/١ ديوان الأعشى٣/١٧-٥.
(٨) الأغاني ١٣/٤ ديوان الأعشى١/٢، ٣٠/٥٤ -٣٢.
(٩) الأغاني ٤٧/٤ ديوان الأعشى ٩/٨.

(ع) قطعت أن اخب ريعانها
بدو سرة جسرة كالمنون
قطعت برسامة جسرة
عذاصرة كالفنيق القطم
بناجية كالفحل فيها تجاسر
إذ الراكب الناجي استقى وتعمما
فآليت لا أرثي لها من كلاله
ولا من حفى حتى تزور محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هشام
تريحي ونلقى من فواضله يدا[1]
* (عت) عليه تاجان فوق مفرقه
تاج جلال وتاج أخبات
(ع) من يلق هوذة يسجد غير متئب
إذا تعصب فوق التاج أو وضعا
له أكاليل بالياقوت زينها
صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا[2]

**و- المتوكل الليثي:**

شاعر كوفي عاصر معاوية وابنه يزيد، وهفت إليه قلوب عشاق الشعر[3]:

* (لَي) والهم إن لم تمضهِ لسبيله
داء تضمنه الضلوع مقيم
(ع) مهلاً بنيَّ فإن المرء يبعثه
هم إذا خالط الحيزوم والضلعا[4]
* (لَي) طربت وشافني يا أم بكر
دعاء حمامة تدعو حماماً
(ع) ويوم الخرج من قدماء هاجت
صباك حمامة تدعو حماما
* (لي) على حين أرعويت وكان راسي
كان على مفارقه ثغاما
(ع) فإن تكُ لِمتي يا قتل أضحت
كان على مفارقها ثغاما
* (لي) غشيت لها منازل مقفرات
عفت إلا الأياصر والثماما
(ع) وهل يشتاق مثلك من رسوم
عفت إلا الأياصر والثماما
* (لي) ونؤيا قد تبدم جانباه
ومبناها بذى سلم خياما
(ع) عرفت اليوم من تيّا مُقاما
بجٍّ أو عرفت لها خياما[5]
* (لي) إذا تمشي تأود جانباها
وكان الخصر ينخزل أنخزالا
تنؤ بها روادِفُها إذا ما
وشاحاها على المتنين جالا
(ع) صفر الوشاح وملء الدرع مزعبة
إذا تأسى يكاد الخصر ينخزل
روادفه تثني الرداء تساندت
إلى مثل دعص الرملة المتهيل[6]

**ز- أبو عطاء الحندى**

* (عط) لم تزل تشتري المحامد قدما
بالربيح الغالي من الأثمان
(ع) تشتري الحمد باغلى بيعه
واشتراء الحمد أدنى للربح[7]
* (عط) والقائد الخيل قبا في امنتها
بالقوم حتى تلف الغار بالغار
(ع) كل عام يقود خيلا إلى خير
ل دفاقا غداة غب الصقال[8]

**حـ- حنين الحيرى**

شاعر مغن فحل من فحول المغنيين وله صنعة فاضلة متقدمة، ولد بالحيرة ونشأ في الكوفة.. وهو إلى هذا ينتسب على موضع النجف[9]:

* (حن) أنسا حنين ومنزلي النجف
وما نديمي إلا الفتى القصف
أقرع بالكاس ثغر باطية
مترَعة نارة واغترف
من قهوة باكر التجار بها
بيت يهودى قرارها الخزف

(١) الأغاني ٦٠/٤ ديوان الأعشى٢٤/٢، ١٦/٤، ١٤/٥٥.
(٢) الأغاني ٦٠/٤ ديوان الأعشى٤٧/١٣- ٤٨.
(٣) الأغاني ١٥٦/١٢.
(٤) الأغاني ١٥٦/١٢ ديوان الأعشى٤/١٣، ٥٩/١١.
(٥) الأغاني ٥٧/٣٠ -٥٨ ديوان الأعشى ٣/٢٩- ٧- ٤- ١.
(٦) الأغاني ٦٥/٣ -٦٦ ديوان الأعشى ٨/٦، ٩/٧٧.
(٧) الأغاني ١٥/ ١٠٧ ديوان الأعشى٣٣/٣٦.
(٨) الأغاني ١٥/ ١٠٧ ديوان الأعشى١/ ٦٢.
(٩) الأغاني ٢٢/٣ ديوان الأعشى١٢/٨- ١٦، ٢٩/٢٩-٢١.

والعيش غنى ومنزلي خصب
لم تغذني شقوة ولا عنف
(ع) تنخلها من بكار القطاف
أزيرق آممن أكسادها
صهباء ضاف يهوديها
وأبرزها وعليها ختم
رب يوم قد تجودين لنا
بعطايا لم تكدرها المنن[1]

* (حن) صاح هل أبصرت بالخبتين من أسماء نارا
موهنا شبت لعينيك ولم توقد نهارا
(ع) أريتُ القوم نارك لم أغمض بواقصة وقربنا زرود
أضاءت أحور العينين طفلا يكدس في ترائبه الفريد[2]

* (حن) كان يغني شعره أو يترنم به.. معتمداً في ذلك على صوت شجي وعود.. وحين حج هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي وقف حنين بظهر الكوفة ومعه عوده فلما مرّ به موكب هشام قال من هذا؟ فقيل له حنين فاستحسن إنشاده:

(ع) كان يغني شعره حتى سمّى مغني العرب.. وقيل أنه كان يحمل معه صنجاً يصاحبه خلال الإنشاد والصنج آلة تشبه العود.. ورأى قوم آخرون إن الأعشى إذا غني شعره تهيأ للسامع أنه يسمع ضربا على أوتار الصنج.

* (حن) حين عذل حنين لأنه ينتجع بشعره. وربما بغنائه فيغلي الثمن..

قال (بابي أنتم.. إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس أفتلومونني على أن أعلى بها الثمن) ومثل هذا النحو عرف عن الأعشى فقد كان ينتجع بشعره.. ولا يقبل الهدية التي لا تليق بقدره.

## ٥- خاتمة المسافة:

لم يسع البحث إلى الإحصاء والإحاطة بكل مفردات السيمائيين (الكوفة والأعشى) وإنما دفع سعيه نحو الإشارة النابهة والدلالة العاضدة.. باعتداد الإنشاء وبلاغات القول مما يؤذى النظر العلمي إذا طفح كيلهما وباعتداد المعلوماتية مقدمات وهوامش تكون في خدمة النص ولا يجوز ارتكاب العكس وبهذا السعي تخفف البحث من المشير الكثير الذي يمكن أن يقال في السيمائين، وحين صنع مقاربة بين الفضلين المتبادلين بين الكوفة ناقدة والأعشى تجربة وضع في خلده أن بحثاً واحداً غير قيمين باستيعاب اطروحة الموضوع... فمثل هذا الموضوع جدير بعناية دارسين آخرين وحسب البحث هذا أنه اقترح هذه الدراسة وأسهم في جزء منها واضعاً بين يدي العنوان منهجاً زعم أنه مناسب.

ولقد واجه البحث عدداً من المعضلات العلمية بينها سعة الزمان الذي امتد فهي الشعر الكوفي فضلاً عن سعة المكان.. فالشاعر ربما كان كوفياً بالولادة أو النشاة أو المنظور أو الاتجاه الإبداعي، وما يقال عن الشاعر يمكن استعارته للناقد حتى أن عدداً من النقاد والشعراء كانوا ينتقلون بين المدن طلباً للشهرة أو الجاه أو الرزق ومع هذه المعضلة وجدنا السانحة مائلة بين عيني البحث لكي ينتقي ويصفى مسافته من ازدحام الشعراء وكثافة صورهم والنقاد وسعة بلاغاتهم، وكان له ما أراد... إذ أن المقابلات الصوفية بين الأعشى والكوفيين شعراء لم تكن مهياة للحصر وإنما هي مهياة لطبيعة المثال والشاهد. وحسب الدارسين أن يتموا السير في لا حب هذه المسافة.

وثمة أمر آخر هو أن النظر الصوفي ليس نظراً يسير لأنه يفكك الصورة ويعيدها إلى عناصرها الأولية على مساحتي الواقع والمجاز ثم يشكلها في ذهن المتلقي بحدس مناسب يقارب طموح البحث في مصاقبة تشكيل الصورة في ذهن الشاعر، وإذا كان ذلك ممكناً فإن البحث فكك صور الشعراء، وأعادها إلى عناصرها الأولية فإن عملية اختزال لبث معتلمها في الذهن ليجد أوجه الشبه التي ألمحنا إليها قبلاً بين ذبذبات صور الأعشى وصور الكوفيين، وتهيأ لنا أننا أفلحنا في ذلك بفضل من الله وتوفيق بيد أن المسالة ليست بهذا المقدار من التبسيط فالدراسات المقارنة وبخاصة تلك التي تصطنع بين نصّين يحملان في طبيعتيهما كثيراً من أسباب المناقضات!! فتأمل! ومن هنا تنبثق الفكرة التي تحبذ النظر الجديد للصورة النظر الذي لا يعبأ بمظاهرة الألوان والخطوط والمعاني وإنما يغوص مع طبيعة الشعر إلى طبيعة الصورة وبهذا النحو وجدنا جدلاً غير معلن بين مدينة أسست لها مجداً وشاعر عاش قبل تمصيرها ومات أيضاً وأسس له مجداً شهدت به دنيا الأدب.. فالمدينة نفضت التراب عن كنوز الأعشى ثم جاء شعراؤها ليتعاطفوا مع جماليات الشعر دون أن يفكروا بسرقته ومثل هذا السلوك جدير تماماً بالمبدعين والحمد لله أولاً وأخرا.

* * *

(١) الأغاني ٢٢/٣ ديوان الأعشى١٢/٨- ١٦، ٢٩/٢٩-٢١.

(٢) الأغاني ٢٣/٣ ديوان الأعشى٨/٦٥ طباعة الأصل غير واضحة ولذلك اضطررنا إلى مراجعة ديوان الأعشى لتصحيح الأبيات الشعرية قدر الإمكان.

# الكوفة بيئة المتنبي شاعر العربية الأكبر

**د. علي كاظم أسد**

**كلية الآداب / جامعة الكوفة**

ليس من شيء يعتز به الانجليز أكثر من وليم شكسبير، ووصل بهم الأمر إلى إحصاء ما كتب عنه فوجدوا أن أكثر شيء استحوذ على اهتمام الكتاب في العالم (في حدود الإحصاء) هو المسيح بن مريم عليهما وعلى رسولنا واله الصلاة والسلام وشكسبير والمتنبي؛ وهذا نابع من اعتزازهم العميق بلغتهم ومن كتب بها من أدبائهم الصغار والكبار من الانجليز وغيرهم واللغة الانجليزية لغة مشتقة حديثاً من اللغة اللاتينية (الام) ولا يزيد عمر الانجليزية على عمر اللغة العربية بل إن الإنجليزي المعاصر لا يستطيع فهم لغة القرن الثامن عشر أو التاسع عشر وهي انجليزية إلا بمترجم بينما يتفاهم العربي بلغة امرئ القيس والافوه الأودي ولغة العرب قبل الإسلام بثلاثة قرون أو أربعة أو أكثر والعربي الآن في القرن الواحد والعشرين فالعربية أقدم لغة حية على وجه الأرض؛ فاولى بنا نحن العرب أن نعتز بهذه اللغة وأن نفتخر بادبائها ولاسيما المتنبي الذي ولد في الكوفة ونشأ فيها ودرس فهي بيئته التي أرغمه الدهر على فراقها وهو في أول شبابه فعاشت في نفسه ذكريات وطافت في ذهنه ملاعب صبا ومرابع فتوة وشباب وبقي يذكرها في شعره[1] حتى حاول الدخول إليها قبل وفاة جدته[2] ورحل عنها وهو لا يرى في الدنيا خيراً منها حتى عاد إليها بعد عودته من مصر وبقي فيها ودافع عنها القرامطة وطردهم منها[3] ورحل عنها إلى فارس ورجع إليها سريعاً يمني النفس بالعيش في دراها ولكنه فارق الحياة وهو في طريقه إليها.

والمتنبي ابن الكوفة شاعر العربية الأكبر بلا منازع ولا ضديد فلا يتيسر لأحد أن يقرنه بشاعر أخر مهما علت مكانته ففحول العربية في جانب وهو وحده في جانب؛ وليس في هذا غلو ولا إسراف فهذا كتاب (الوساطة) للجرجاني قد وازن بينه وبين شعراء العربية طرا ولم يدر الدرس النقدي القديم ولا الحديث على نص أكثر من دورانه على النص القرآني المقدس وعلى نص المتنبي؛ فليس عجيباً بعد هذا أن تفخر الكوفة على قرى العرب كافة بهذا الشان لأنه ابنها الذي أنجبته لهذه الأمة العظيمة ولهذه اللغة الكريمة؛ وليس معنى هذا أننا نرى أثراً عميقاً للبيئات في مواهب الكتاب والعلماء المشهورين؛ فليست كل بيئة من أرض وسماء أو هواء وماء أو دين وأخلاق وسياسة تفعل فعلها في تكوين الأديب أو العالم وفي توجيه ذهنه وفكره، فرب بيئة ليس لها هذا حتى وإن أقر الأديب أو حاول أن ينسب إليها هذا؛ فهناك من البيئات ما هي كالأم التي تنجب ولا تربي كالظرف الذي يحمل الأشياء أو كغلاف الكتاب ولكن هناك من البيئات ما هو كالأم العظيمة التي تحمل جنينها وتغذوه بكل ما يؤدي به إلى العظمة؛ فالكوفة ومسجدها الأعظم وترابها الذي طالما حمل من عبق العظام الشيء الكثير حمّلت أبناءَها عظمتها وقدسيتها وعمق تقاليدها وعناصر تميزها لأن الكوفة هي العراق وجمجمة الإسلام ومعقل العربية ومدرستها النحوية واللغوية التي تخرج فيها ما لا يحصى من الأعلام في شتى حقول المعرفة الفكرية والثقافية والعلمية لم تكن ظرفاً اعتيادياً ولا بيئة تدع سماتها إلى الريح فليس عجيباً أن يختارها الإمام علي بن أبي طالب(ع) عاصمة للخلافة العربية الإسلامية وليس عجيباً أن تكون إحدى مدارس اللغة والنحو وعلوم العربية الأخرى ومدرسة من مدارس التفسير والحديث والرواية والفلسفة والفكر وتكون إمّا للمتنبي قديماً والجواهري ورعيل من الشعراء والأدباء والكتاب حديثاً؛ والبحث هنا مقصور على المتنبي أحمد بن حسين المولود فيها سنة ٣٠٣هـ المقتول في سنة ٣٥٤هـ لبيان مزيته وتقدمه على شعراء العربية.

(١) انظر الديوان تقديمك د. عبد الوهاب عزام، دار الزهراء: ١٠١.

(٢) م.ن: ١٥٥.

(٣) م.ن:٤٠٨.

لم يتفق علماء الأساليب من القدامى والمحدثين على شيء اتفاقهم على سمو مكانة المتنبي الشعرية من بين فحول شعراء العربية، برغم اختلافهم في كثير من معانيه[1]، وبرغم اختلافهم في تفسير طاقته المتميزة في بناء اللغة بناء إبداعياً[2] وبرغم اختلافهم هم وغيرهم من مؤرخي الأدب في جوانب أخرى من حياته: كامر نسبه وأمر ترحله وسبب سجنه وأمر ادعائه النبوة ومذهبه وعقيدته[3] وأمر ثباته على مبادئه أو تحوله عنها وسبب هذا التحول فهم يختلفون في هذا كله اختلافاً شديداً ولا يكادون يتفقون على شيء ولكن هذا الاختلاف لا يمس اتفاقهم على نفاسة موهبته، وهيمنته على اللغة وتصريفها في الشعر، وتمكنه من مذاهبه، فهم يضعون أقدامهم مطمئنين على أرض مطمئنة من الاتفاق على تقدمه؛ كأن خلاصة الإبداع الشعري جمعت في شاعر واحد[4]. والحق إن المتنبي قدر على هذا الفن في كثير مما سرى إليه وهمّه مصرفاً اللغة في كل ما يؤدي بها إلى الشعر الحق المعجب المؤثر حتى شغل الناس إلى يومنا هذا، ولذلك قال ابن نباته الشاعر: (نحسن إن نقول، ولكن مثل هذا لا نقول) [5] ولا ينبيك مثل خبير.

إن علماء الأساليب، على تباين رسوخهم، من نقاد وبلاغيين ونحاة ولغويين، وفقهاء ومفسرين، مع تباين أهوائهم وتنوع ثقافاتهم واختلاف أذواقهم وأمزجتهم يجعل من اتفاقهم أمراً عسيراً إن لم يكن مستحيلاً؛ لأن تفضيل شاعر في أمة شاعرة قطعت أكثر من خمسة قرون من الإبداع الشعري؛ وهو أمد يعد من أزهى الآماد الفنية، تفضيل صعب ولاسيما في أمر نسبي كهذا الأمر فقد واجه ابن سلام في تقسيمه فحول الجاهلية والإسلام على طبقات تحوي كل طبقة أربعة شعراء منهم، واجه عنتا ما بعده عنت حتى اضطر إلى الاعتراف بهذا[6]؛ فامتحن في تقويمه هذا امتحاناً عسيرا، وصار عبرة لابن قتيبة الذي نأى عن معايير محمد بن سلام وأمعن في نأيه، وتدرع بالموضوعية حينما وضع عنواناً لكتابه يوحي بهذا النأي عن التفضيل أو التقسيم أو الانتماء إلى الزمن وعنوانه هو (الشعر والشعراء) وليس طبقات الشعراء ولا غيره.

واختلف الناس في أمر الثلاثة الإسلاميين (جرير والفرزدق والأخطل) ولم يتفق أحد على تقدم واحد منهم على الآخر[7]؛ فكل له مكانته في شاو معين، واختلف الناس في أمر أبي تمام والبحتري؛ فأفضى الاختلاف إلى ظهور مبدأ (الموازنة) ظهوراً منهجياً على يد الآمدي الذي عقد كتاباً سماه «الموازنة بين الطائيين: أبي تمام والبحتري» ولم يتفق أحد على تفضيل أحدهما بل انتهى الأمر إلى محاولة أبي تمام تجديد علاقات الكلم والبحث عن شعرية جديدة ومحافظة البحتري على عمود الشعر وما ألفه العرب من علاقات بين الكلمات في الشعر؛ وقديماً اختلف الناس في أمر السبعة الجاهليين أو العشرة ففضلوا امرؤ القيس في بيئة وفضلوا زهيراً في بيئة وفي بيئة فضلوا النابغة والأعشى ولم يستقر أحد على شيء من أمر هؤلاء الفحول[8] ولكن العرب قاطبة لم تشك لحظة في إعجاز القرآن الكريم، وعلماء الأساليب لم يخامرهم الشك في علو مكانة فالمتنبي؛ أذاب كثيراً من المعايير والمبادئ في النقد القديم بتقدمه وتميزه من غيره في أكثر ما جاء به فامتحن النقاد في فنه امتحاناً عسيراً[9]؛ وقد بدا معيار الزمن ومعيار المفاضلة أو الموازنة لا معنى لهما في جنبه وأرغم النقاد على أن يبحثوا عن معايير أخرى تتناسب مع تجديده وتتلاءم مع تقدمه وتستقيم مع تميزه، لأنه نسيج وحده، ودفعهم إلى أن يتصفوا بصفات (الناقد) الجوهرية: كالتخصص والموضوعية، والثقافة الواسعة العميقة والمنهج التحليلي المجدي للنص كله مثلاً لا البيت المفرد والنظر في مستويات النص البنائية، والنظر في كل شعر قالته العرب؛ ولذلك وازنوا (سواء كانوا له أم كانوا عليه) بينه وبين كل الشعراء العرب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا بل وازنوا بين حكمة فلاسفة اليونان أو غيرهم من ذوي القول الحكيم وما جاء في شعره من خلاصات حكمية تاملية[10] وهم بذلك (ولاسيما من تعصب عليه منهم) قد أقروا ضمنا انه في جانب وكل شعراء العربية في جانب آخر؛ وسبب -فيما سبب- في ظهور مبدأ نقدي جديد يمكنك أن تطلق عليه مبدأ (الانجاز) في مقابل مبدأ (السرقات) حينما وجدوا أن مبدأ

(١) يدلك على هذا كثرة شروح ديوان وكثرة كتب المشكل (أبيات المعاني): أنظر: أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين.

(٢) الصبح المتنبي في حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي.

(٣) الصبح المتنبي في حيثية المتنبي للشيخ يوسف البديعي.

(٤) التبيان في شرح الديوان المنسوب إلى العكبري: ١/ ١٦١، الصبح المتنبي: ١٧٧/٤٠٩، ٣١٥/ ٤١٢.

(٥) التبيان: ١٦٢/١.

(٦) يقول ابن سلام: (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين... فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر وجدنا له من حجة وقال العلماء فيه وقد اختلف الناس والرواة فيهم فنظر قوم من أهل العلم بالشعر والنقاد في كلام العرب والعلم بالعربية إذا اختلفت الرواة فقالوا بآرائهم وقالت العشائر ما هوائها ولا تضيع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم فاختصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً فالفن من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة متكافئين متعادلين) طبقات فحول الشعراء المقدمة.

(٧) انظر الموشح للمرزباني: ٣٨٤.

(٨) انظر: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٥٢.

(٩) انظر الوساطة:٤٩١.

(١٠) انظر الرسالة الموضحة لأبي علي الحاتمي والرسالة الحاتمية والكشف عن مساوي شعر المتنبي والمنصف لابن وكيع.

السرقات لا ينطبق عليه لثقافته واستيعابه من تقدمه ووعيه لتفاصيل أدائهم وتفوقه عليهم بل أمره استيعاب ثم انجاز بما يصطلح عليه المحدثون (على هذا الاستيعاب) بالتناص أو النصوصية أو تداخل النصوص أو تكسر النصوص inter textality فليس هو كغيره من الشعراء لينطبق عليه مبدأ السرقات؛ وسبب أيضاً، في ظهور اتجاه شعري هو اتجاه الشعر التعليمي - كما اسميه (لا النظم التعليمي) [1] وهو ما يعرف بشعر الحكمة لا على طريقة الزهاد والفقهاء بل على مبدأ جعل الحكمة مكوناً شعرياً يرفد البناء الشعري بقوة تاثيرية لا تقل عن التوير في مجال الشعرية، كان من سالكيه أبو العلاء المعري والشريف الرضي.

إن هذا الاتفاق سواء كان معلناً أم خفيا، إقرار ضمني بتقدمه حتى عند من تعصب عليه ممن عاصره؛ فقد كان للمعاصرة أثر كبير في تعصب من تعصب عليه، وكان لأخلاقه بعد أو أبعاد في أثاره الناس عليه؛ فقد كان حاداً جاداً مجداً مر النفس داهية[2] حتى في صباه، وكان لجده واعتداده بنفسه واهتمامه بها وشغله بها وتربيته الخاصة وشكه بالناس وإحساسه حسدهم إن بدا بمظهر وصفه معاصروه بالكبر والغرور[3]؛ فلم يكد يسيغه أحد الأبعض محبيه وبعض رواته[4]؛ فقد فخر على أحد ممدوحيه وهو في أول شبابه قائلاً:

كفاني الذم إنني رجل
أكرم مال ملكته الكرم
وكيف لا يحسد امرؤ علم
له على كل هامة قدم

واشترط على سيف الدولة الحمداني شروطه المشهورة التي فيها ينشده وهو جالس متقلداً سيفه[5]، ولم يقدم على كافور الإخشيدي إلا بعد أن كاتبه[6]، وترفع عن مجلس وزير كافور فجعل منه عدواً[7]، ودفع ابن وكيع فالف فيه كتاباً ضخماً في تتبع سرقاته وإحصاء ما عليه سماه (المنصف في السارق والمسروق منه) وترفع عن مجلس وزير الخلافة العباسية ابن المهلبي فجرد عليه أبا علي الحاتمي ليحصي عليه سقطاته في كتاب سماه (الرسالة الحاتمية) [8] وأغرى صغار الشعراء فهجوه وتعرضوا له يسمعونه ما يكره[9] واستصغر الصاحب إسماعيل بن عباد (كافي الكفاة) فحرر في مساوئه كتاباً سماه ( الكشف عن مساوي شعر المتنبي) فإن كان قد تكبر على كبراء عصره وعلى ممدوحيه فما بالك بمن دونهم وهذا يعود -في ظني- إلى إحساسه بموهبته وعلمه وبطاقته الفنية، وبرغم هذا كله كان شعره مفضلاً حتى من أعدائه ومناوئيه -لأنه عرف الطريق إلى أدق أعدائه ومناوئيه- لأنه عرف الطريق إلى أدق مشاعر الناس بل أوجد لهم التعبير الذي يلائم أغلب مواقفهم وتجاربهم وصراعهم في هذه الحياة[10] وعرف كيف يضع شعره في سبيل البقاء والخلود؛ فما الذي يدفع مثقفاً كالصاحب ابن عباد أو كابي علي الحاتمي أو كابن وكيع إلى تحرير كتب في إحصاء سقطاته إن لم تكن مكانة الشاعر الأدبية قد أحاطت بأذواقهم وأثارت إعجابهم، ومن حسن حظه أن وضع القدر في طريقه مثقفين كهؤلاء ليحصوا عليه سقطاته والكامل من عدت سقطاته، ولاسيما إذا كان هذا العدو مثقفاً عالماً مبرزا؛ فإذا كان للمعاصرة دورها في دراسته دراسة عسيرة لإعلان مزيته ممن تعصب عليه للحد من شهرته، أو لتحديد مكانته وقيمته؛ فإن من جاء من بعدهم، بعد تقدم البحث العلمي واكتسابه الموضوعية أو التخصص قد وضعوه تحت نظرهم العلمي[11] بعد أن بعدوا عن معاصرته وتأثيرها فقد انتهوا إلى ما انتهى إليه أسلافهم في تفضيله والإقرار بتقدمه فضلاً عن أنه درس في حياته بل في أول شبابه؛ فقد درس شعره وامتحن هو في مجلس بدر بن عمار من قبل مناوئيه[12] واشتبك النظر العلمي على نصوصه بعد هذا إلى الآن وهذا يعني أن موهبته لم تكن تمر بمراحل تطورية كغيره حتى النضج والأشد[13] وإنما شانه شأن الموهوبين القلائل كموزارت أو اينشتاين مثلاً، وإلا فلم هذا الاحتفال غير المالوف باسلوبه فمن المستحيل أن يكون بسبب شهرته أو شهرة مواقفه أو كما يقول بعض معاصريه (أنه رزق من سيرورة الشعر ما لم يزق غره) [14] ونسال هنا لم رزق من سيرورة الشعر؟ إلا أن يكون وراء الشهرة موهبة كبيرة غير مالوفة؛ وإني اعتقد انه ولد موهوباً وساعدت بيئته المتميزة من غيرها على تعاهد هذه الموهبة وساعدت أحوال نشأته على

(١) البناء الشعري عند المتنبي رسالة دكتوراه؛ علي كاظم أسد: ١٥٩.
(٢) الواضح: ١٦.
(٣) م.ن: ٢٦/ ٢٧.
(٤) كابن جني وعلي بن حمزة البصري وابن رشدين وغيرهم.
(٥) الديوان: ١٠٣ وانظر الديوان: ٢٧٠ مثلاً.
(٦) انظر: الواضح: ١٠.
(٧) م.ن: ١١.
(٨) انظر المنصف: مقدمة المحقق.
(٩) انظر الواضح: ١٥.
(١٠) قال عبد الرحيم بنعلي البياني (القاضي الفاضل) أن أبا الطيب يتكلم عن خواطر الناس نقلاً عن بن الأثير الجزري: انظر الصبح المتنبي: ١٦٢.
(١١) انظر: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث: ٢٦١ وما بعدها.
(١٢) انظر الديوان: ١٤٦.
(١٣) البناء الشعري في شعر المتنبي: انظر التمهيد.
(١٤) الصبح المتنبي: ١٦٠-١٦١.

سبكها وصهرها وربما مر ما مر به الشعراء من تقليد لغيرهم وتمرين وتهذيب ولكنه تقليد مقتدر[1] ولم يزده السن إلا خبرة في بعض نواحي الشعر الموضوعية لا الفنية؛ ولم يكن المتنبي بغافل عن موهبته هذه بل كان على بينة من أمرها وهو في صباه فدفعه إلى استغلالها طموح عميق إلى المجد؛ فمرحلة حلب وشعره في سيف الدولة ومرحلة مصر وشعره في كافور مدحاً أو هجاء لم يكونا من مراحله الفنية المتميزة وحدهما كما يرى الدكتور طه حسين[2] أو الدكتور النعمان القاضي[3] أو غيرها من الباحثين فما نقول عن مرحلة بدر بن عمار مثلاً وقصائده في شكوى الزمان في مرحلة الشاميات الأولى وقصيدته فإذا كان ثمة من يرى تميزاً لمرحلة حلب أو مصر من غيرهما في رثاء جدته وغيرهما من قصائده فهذا يعود إلى خصوصية المرحلة وتميز مواقفها وتباين أحواله فيها؛ فإن كان قد وقف من اللغة موقفاً جر عليه النقد في المراحل المذكورة وجر عليه التعصب له أو عليه فإن موقفه من اللغة في هذه المرحلة لم يتغير ولكن الذي تغير هو أنه شعر وهو مع أمير عربي كسيف الدولة انه قد حقق ضمناً نوعاً من المجد الذي يسعى إليه في حروبه مع سيف الدولة على البيزنطيين ورأى قوة الدولة العربية وهي تقارع جيش الإمبراطورية الرومية وإن كان العرب في جيش صغير وشعر وهو في مصر بدنو تحقيق طموحه إذ كان يائساً من تحقيقه لنفسه في أيامه الماضيات مع غير كافور ومع غير سيف الدولة لأني أرى أنه لم يفارق طموحه لحظة واحدة بدءا من صباه حتى رحيله عن مصر ولم يفارقه يأسه العميق من تحققه غير أنه في مصر وجد السبيل إلى بعث أمله أو ربما ظن ذلك وهذا له الأثر البالغ في تبدل أسلوبه أو تميزه مرة بعد أخرى تميز أدواته ويجب أن يقال: أن شهرته اتسعت حتى ملأ الدنيا وشغل الناس في مرحلة حلب ومرحلة مصر فيأسف سيف الدولة على فراقه وينشط كافور لازدياده والتمسك به والقلق على فراقه وتأمل بغداد الخلافة نزوله عيها ويطمح الصاحب بن عباد وابن العميد وعضد الدولة البويهي إلى وجوده بينهم، فليست قدرته الفنية التي نضجت وربما أحسّ أنه قد حقق مجداً أدبياً لم يحققه شاعر قبل حتى مدحته الشعراء وتبارت في الفوز بصوته الأمراء واختلف في شعره ودرس في حياته فحق له أن يقول ولم يكن مغالياً[4]:

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

لهذا كله حرص على أن يستغل طاقته الفنية في تحقيق مجده في الحكم فإذا كان قد يئس من ملك الحمدانيين في حصوله على فرصة في الولاية فإن تشاؤمه كان يختفي ويظهر تفاؤله في تلاحق انتصارات سيف الدولة فيعيش في بحبوحة من الأمل والزهو ولكنه في مصر لم يجد الحياة التي كان يحبها ولم يجد في مصر ما وجده في حلب فكان شعره مختلفاً من حيث تميزه بالتلقائية والتعبير الذاتي بقصائد لم يظفر بها الأدب العربي إلا نادراً حيث تحول المديح على يدي قلقه على أمله إلى صور نادرة مثلى من صور القلق الإنساني وهو يواجه المجهول ولا يد له في تصرفه أو الهيمنة عليه فضلاً عن أنه كان يسوقه تشاؤمه الفطري وعقدة الإحباط أن سلم لنا أن نقول هذا، فكان بين قبضات التشاؤم وبسط الآمال في منزلة بين الياس الآمل أو الأمل اليائس لأن التشاؤم والإحباط يؤديان بالإنسان إلى التامل والتفكر والحكمة فدفع نصوصه في تيار معاناة عميقة[5]؛ وهنا تبزغ مزية تصرفه باللغة للتعبير عن هذا كله فضلاً عما لبيئته التي نشأ فيها من أثر كبير في ثقافته اللغوية والنحوية فقد كانت مدرسة الكوفة المعتمدة على السماع غالباً لا القياس المحدد بالنظر العقلي تزجي بآثارها في تصرفه العميق المرن باللغة وصوغ التراكيب فبرع في ابتكار أدوات فنية متميزة لجديد مواقفه لا استجابة لطبيعة مصر أو حلب أو غيرهما أو ملاحظة مكان الشعراء والأدباء والنقاد فكان صورة من صور الكوفة الباهرة إن لم يكن أبهرها.

* * *

(١) كافوريات المتنبي دراسة تاريخية وفنية: رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة: علي كاظم أسد/ انظر الفصل الرابع.

(٢) انظر مع المتنبي: ١٧٠-١٧١.

(٣) كافوريات (أبي الطيب) المتنبي.

(٤) الديوان: ٢٦٩.

(٥) كافوريات (أبي الطيب) المتنبي ١٧٨.